الفصل الخامس

النوازل

obeikandl.com

obeikandl.com

المذابح العصريّة

سؤال: يُقتّلُ المسلمون في البوسنة والهرسك، وفي قراباغ وأنحاء أخرى من العالم، وكأننا مُكبَّلون بالأغلال لا نقدر أن نفعل لهم شيئًا مطلقًا، وهذه الحال مجلبة لليأس، فماذا علينا أن نفعل؟[١٠٤].

الجواب: تذكروا ما قيل: "وهل تخلى البشر في أي فترة من التاريخ عن قتل إخوانهم وظلمهم!؟"... لقد طُرِقَ هذا الموضوع من وجوه أخرى أمثال "جلال نوري" و"بشير فؤاد" و"توفيق فكرت"، والحقيقة أن الظلم ما زال قائمًا حتى اليوم، فالجور مستمر، وما تبسمت الدنيا قط، ولا توقفت شلالات الدماء، وما فتئت الأمم تقتل بعضها.

تذكرون أن أربعين مليونًا قُتلوا في الحرب العالمية الثانية، حتى هُرِع إلى الكنيسة ذعرًا من هذه القيامة الحمراء الناسُ جميعًا وفيهم دهريّون وملحدون ينكرون وجود الله سبحانه، ويُقال: إن ثمانين ألفًا قتلتهم القنبلة الذرية في "هيروشيما" بادئ الأمر، اختُرعت هذه القنبلة وأختها الهيدروجينية، ثم وقعت بأيدي وحوش العصر فارتُكبت جرائم تتوارى منها خجلًا حتى وحوش الغابات.

(١٠٤) جمعت من حديث أُلقي في شهر سبتمبر/أيلول (١٩٩٢م).

ومنَّا نحن المسلمين قُتِلَ في حرب البلقان وحدَها أكثر مِن قتلى حرب البوسنة والهرسك، ومن يدري كم أُزهقت أرواح نيّرة الوجوه ورجالٌ من صلب رجال في جبهات أخرى.

لقد كشفت هذه المذابح الوجه الحقيقي للأنظمة والأيديولوجيات المقدمة للبشرية مغلفةً بشعارات الحضارة والإنسانية. أجل، لم يتخلّ الغرب قطُّ عن الكيل بمكيالين؛ فعامَل المسلمين غير معاملة اليهود والنصارى.

ونشاهد اليوم نحن والعالمُ أجمع أكاذيبَ بعض القوى الكبرى تتردّد مرةً أخرى، فما رأينا منها عونًا للبوسنة والهرسك ولا بيانًا شافيًا عن الشهداء ولا تنديدًا بخطف الأيتام ولا بالسعي الحثيث لتنصيرهم، بينما رأينا على حدود "كرواتيا" أربعة عشر ألف جندي من الأمم المتحدة لحمايتها.

ولعلَّ هذه الحوادثَ تثير الحميّة الملّية والدِّينية لدى المسلمين، فتدفعهم للتحرك، فهذا الاعتداء والتسلُّط ومظاهر الأسر والمظالم حولنا ربما تُزلزل ضمائر المسلمين، وتُوقظُ من "يسيرون نيامًا" منهم ليقولوا: "كَفَاكُم كُفُّوا عن ذلك"؛ ولو أدت هذه الحوادث إلى نتيجة كتلك، فأيقظت الضمير المجتمعي، لقيل إنها نافعة من حيث هذه النتيجة وإن استُقبح ظاهرها؛ ذلك أنّ مَن يموتون في سبيل دينهم وعقيدتهم شهداء حقًّا، وسيذوق القتلة ما يجزيهم من العذاب، ولا شك في هذا ولو مثقال ذرة؛ فمن يُقتلون ظلمًا واضطهادًا يفوزون

بالشهادة والجنة، ويصحو بشهادتهم مِن خلفهم ثُمَالى بالفكر الغربي منذ سنين، فإذا خسرنا مرةً اليوم، فسنربح أضعافًا مضاعفةً غدًا.

أجل، إن الإنسان والثقافة صِمَام الأمان للسير السويّ للنظام، وهو ما ستنجح فيه أجيالٌ مُشبعة بوعي الواجب، ولم تتكالب على المنصب والجاه، وانصهرت بثقافاتها القومية، وتُجلّ الله في أدبٍ جمٍّ قائلةً: "علينا أداء الواجب فحسب، ولا شأنَ لنا بشؤون الله".

ما ينبغي أن نقنط، فنحن أمة ليست كجيل الخمسينات، إننا اليوم طاقة نورٍ للعالم كله لا قائمين بالبعث فحسب، وهذا الأمر كلّما لاح لبعضهم هاج وماج، إننا أصبحنا في واقعٍ جديد، فلماذا نيأسُ نحن، دعوهم يتقلبوا هم في غياهب اليأس والقنوط.

ولأجل ذلك يثير الغربُ الاضطرابات تِبَاعًا في العالم الإسلامي: البوسنة والهرسك وحزب العمال الكردستاني وقبرص وقضية المياه والأرمن وقضية فلسطين وكشمير وغيرها... إلخ. أجل، إنهم يخططون لهذه الأمور كلِّها، ويثيرون الاضطرابات تِبَاعًا قائلين: "لو نهضوا من هذه سقطوا في غيرها، وإن قاموا من غيرها وقعوا في أخرى وهكذا دواليك".

ولا ينبغي لنا تعليق أعمالنا وتصرفاتنا على النتيجة مطلقًا، ولا النضال في سبيلها؛ فهي ليست من شأننا، وربما يجرُّ التفكير فيها إلى أمورٍ معوجة، وإلى الوقاحة وسوء الأدب وكأننا نساوم الله، ونحن

أبعد ما نكون عن هذا، يقول ربُّنا تبارك وتعالى في حديث قدسي: "**لَا تَشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِالدُّعَاءِ عَلَى الْمُلُوكِ، وَلَكِنِ اشْتَغِلُوا بِالذِّكْرِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيَّ أَكْفِكُمْ مُلُوكَكُمْ**"(١٠٥).

والحاصل: لا بد أن يكون هدفُنا الأولُ والأعلى هو السعيَ لإعلاء كلمة الله العظمى وإن ببذل الْمُهَج، لا القنوط والتحزُّن عند وقوع النوازل حولنا.

(١٠٥) الطبراني: **المعجم الأوسط**، ٩/٩؛ أبو نعيم: **حلية الأولياء**، ٣٨٨/٢.

obeikandl.com

الحرب المتوقعة بين أمريكا واليابان

سؤال: من علماء الاجتماع اليوم من يجزم أن الحرب بين أمريكا واليابان واقعة، ودليلهم التنافس الاقتصادي، فما رأيكم؟[١٠٦]

الجواب: أنا أستبعد حربًا كهذه، ولا أزعم أنها مستحيلة، فلا أحد يعلم كيف تتجلّى المشيئةُ الإلهية، فينبغي التوازن في الحديث، لا سيما أمور المستقبل، فمن المفيد ترك باب الاحتمالات مفتوحًا ولو كنتَ متيقنًا مما تقول.

أما الحرب الأمريكية اليابانية فهي كالمستحيل لدى الطرفين؛ ولكن أترك باب الاحتمالات مفتوحًا، والدليل على أنها ليست واقعةً الآن أمور:

١- كبّد اليابانيون الأسطول الأمريكي خسارةً فادحةً عندما هجموا على القاعدة البحرية الأمريكية "بيرل هاربر (*Pearl Harbor*)"عام ١٩٤١م، وشجعهم على هذا انتصارات الحروب السابقة؛ لقد أكسبتهم مشاركتهم لإنجلترا في الحرب العالمية الأولى بعض

(١٠٦) جمع من حديث جرى في شهر أكتوبر/تشرين الأول عام (١٩٩٣م).

المواقـع، وانتصـروا في الحرب البحرية علـى الروس، فعززت هذه الانتصـارات المتتالية ثقةَ اليابانيين بأنفسـهم أكثر مما ينبغي، فهددوا أمريكا التي لم يكن لها كيانٌ مَهيب يومئذ.

إن اختيـار اليابانييـن لوقـت الهجـوم ذكيّ ومناسـب جـدًّا؛ لأن المنـاخ يومئـذ كان ملائمًـا جـدًّا للـدول التي تريـد أن تبلـغ مكانةً ما سريعًا؛ فالعالم كان يغلي بالحرب العالمية الثانية التي اندلعت عام ١٩٣٩م، ومعظـم الـدول العظمـى في أزمة، وحلَّتْ بألمانيا وفرنسـا وإنجلترا وإيطاليا كوارث حالت دون رؤية غيرها؛ فقد تلطخت الدنيا بالدماء وشـغلت كل دولة بالبحث عـن مخرج من هذه الكارثة بأقلّ الخسائر، أما اليابان فقد كانت قويّة نسبيًّا، فأقدمت على هذا الحدث التاريخي حين وجدت المناخ مناسبًا.

كان هـذا هـو الحدّ الفاصل بين الوجود والفناء، ولو أنّ اليابانيين واصلـوا انتصاراتهم لتغيَّـرَ حالهم اليوم جذريًّا، غير أنهم استسـلموا تمامًـا لـمّا ألقت الطائرات الأمريكية القنابل النووية على هيروشـيما وناجزاكي عام ١٩٤٥م، إذ اسـتمرت الحرب ثلاث سـنوات أو أربعًا فأنهكتهم وسـلبتهم بعض قوتهم، وعجّلَ في استسـلامهم هذا تدمير هـذه الضربـة للمدينتين ومقتلُ ما يقرب مائة ألـف دفعةً واحدة، لقد اختـاروا الوقـت الصحيـح لتنفيذ الخطـة التي اسـتهدفوا النصر بها، لكنّهـم أخطؤوا التقديـر، فأقعدَتْهم الهزيمة وكانـوا يتوقعون النصر؛ فاستسلموا دون قيد أو شرط.

وظنّـوا أنهـم سـيهزمون أمريكا، لا سـيما أن علاقتهـم بها يومئذ ليست بذاك، ولم تكن قوة أمريكا كما هي اليوم، فخاب فأل اليابان، وهذا ما دفعها لتكون أكثر حيطة وحذرًا في المراحل المقبلة.

وأمـا في المنطق العسـكري فأخطأت اليابان بهـذا الهجوم؛ لأن المهاجم لا بد أن يكون أقوى من خصمه بضعة أضعاف على الأقل، وهي ليست كذلك الآن كما السابق.

وهيئـة أركان الحـرب اليابانية خطَّـأت يومئذ هجومًـا كهذا ولم ترغـب فيه، وشـبهت أمريكا بأسـدٍ رابـضٍ في عرينـه، وقالت: "لقد هيجتم الأسـد الرابض، واسـتدعيتموه نحوكم" ولا شـك أن التقييم والدراسـة العسـكرية للأحداث أمرٌ مهم، غير أن الحكومة اليابانية ما أدركت هذا الأمر يومئذٍ إلا بعد تجربة.

٢- بيـن أمريـكا واليابـان تعاون اليـوم، واقتعدت اليابان كرسـيًّا بجانـب أمريـكا فـي دراسـات الفضـاء، وتسـعى أمريكا للاسـتفادة القصـوى مـن طاقـات اليابـان وخبرائهـا الفنييـن ومهاراتهـم للرقي بالتكنولوجيا إلى آفاق أخرى؛ فما دامت الدراسات المشتركة قائمةً، وليـس مـن باعثٍ علـى التوترِ حقيقـيّ مؤثرٍ فلن تجنحـا إليه. أجل، إن المصلحة المشـتركة عامل سِـلْمٍ مهمّ جدًّا في العلاقات الدولية، ولن تغفل اليابان وأمريكا هذا الأمر.

٣- مهمـا تقدّمت اليابان فنيًّا فـي بعض المجالات، فهي متأخرة عن أمريكا في الصناعة الحربية والخبرة العسكرية، والحال أن الخبرة

الحربية ميدانها الممارسة، لا المناورات، وما تعلم العثمانيون فنون الحرب إلا بخوضها، فقد قاوموا بقوة وشدّة صغار الولاة البيزنطيين أوّلًا، ثم وسعوا عملهم تدريجيًّا؛ فتصدوا لبيزنطة، ثم بلغوا أواسط أوروبا، ومردُّ هذه الانتصارات عسكريًّا إلى خبرة العثمانيين في الجبهات.

والجنود الأمريكيون كذلك، خَبَرُوا الحرب بخوضها، وهذا لا يعني تصويب ما وقع ألبتة، ولكن تقريرًا للواقع نقول: إن لدى أمريكا اليوم أكثر جيوش العالم خبرة؛ لأنها خاضت حروبًا متتاليةً منذ زمن طويل: في فيتنام وكوريا وكوبا وأمريكا الجنوبية والعراق ثم الصومال... أجل، فهذه الساحات كانت ميدانًا للتطبيق العسكري، وهيئةُ الأركان الأمريكية تطرح إستراتيجيات حربيّة باستمرار، وهذه نتيجة حتمية لأن رحى الحرب عندها لا تتوقف.

ومثل هذا البحث العميق ميزة لأمريكا قطعًا، فعلى الكل -ومنهم اليابان- ألا يغفلوا هذه الميزة؛ ومهما تقدمت اليابان في مجالات أخرى لكن واقعها أضعف من أن ينافس أمريكا عددًا وعُدّةً، فعلى من يُلوّح بالحرب ولو كانت اليابان -وهو أراه بعيدًا- أن يقيّم الواقع جملةً، ولا أظنّ أن الخبراء العسكريين اليابانيين سيسمحون بمغامرة كهذه ضدّ أمريكا.

٤- إنّ أمريكا ترغب بجذب اليابان إليها لأجل مصالحها، واتخاذها مخفرًا لتتفادى مواجهة اليابانيين، وهو أمر لا بُدّ منه لمواجهة الصين ودول المحيط الهادئ المستاءة الكارهة لها، وتشير

معلومات زوّار الصين إلى أن المئات بل الآلاف من رجال الأعمال والصناعة الأمريكيين يعملون بهمّة في بكين الآن؛ وستنزع الصين لباس الشيوعية قريبًا وتقذفه بعيدًا، وستتغير كثيرًا تغيرًا قد يقترن بفوضى واضطرابات، وحينذاك ستفضل أمريكا العمل مع البديل؛ فهي لا تثق في الصين ثقةً تامَّة، وتُبقي اليابان احتياطًا، تستخدمها في مواضع إذا آن أوانها، وهذا حال الدول التي هي مخفر لأمريكا مثل إسرائيل، وكوبا، ومصر، وسوريا، وتركيا أيضًا؛ فما أبعد القول بأن أمريكا ستواجه اليابان التي رشحتها لتكون مخفرها بالمحيط الهادئ.

٥- وفي آخر هذا التقييم نرى فائدةً في إيضاح الآتي:

لو اتفقت اليابان مع الصين أو غيرها من دول المحيط الهادئ، وقويت صناعتها الحربية، وضربت البورصة الأمريكية، فربما تتذرع أمريكا بهذا لمهاجمة اليابان، ولا بد لمحاولةٍ كهذه من مسوغات قوية مقنعة جدًّا، وأي هجوم لا يعتمد على حجة مقنعة سينزع عن أمريكا الثقة التي تتضاءل يومًا بعد يوم، وهي لا ترغب قطعًا في مواجهة دول العالم أجمع؛ لأنّ في ذلك نهايتها.

ملخّص القول: إن نشوبَ حربٍ كهذه دون سبب وجودي باعث عليها مغامرة لكل من اليابان وأمريكا، ولن تجد دولة حكيمة تُقْدِمَ على مغامرة كهذه مجهولة العواقب ألبتة؛ فيُستبعد بل كأنه يستحيل احتمال الحرب بين أمريكا واليابان؛ والله أعلم، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

دلالات الكوارث السماوية

سؤال: هل الكوارث السماوية والأرضية مقدمات لكوارث أكبر -عافانا الله- أم قِلاعٌ دونها؟

الجواب: قبل الجواب لنتأمل مسائل مثل: ما المصيبة، وما مفهومها عند الناس، وكيف يجب أن ننظر إليها؟

الحقُّ أنَّه لا أحدَ يُدرك ما للمصيبة من دلالات سوى المؤمنين سواء أكانت هذه المصيبة حرقًا أم غرقًا أم زلزالًا أم هيلانًا؛ فالمصائب لا تُنذر من يهوي في أودية الإنكار والكفر والضلال والغفلة، ويعيش في دركات مثل التي قال الله عنها ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾ (سُورَةُ البَقَرَة: ٢/١٧١)؛ ويشير الرسول ﷺ إلى هذه المسألة المهمة بقوله: "**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيرٌ، وَلَيسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيرًا لَهُ**"(١٠٧).

إذًا ليس في الزلزال أو الحريق أو السيل أو الإرهاب دلالةٌ عند الصمّ البكم العُمي، وإن كانت له دلالات كثيرة عند المؤمنين.

(١٠٧) صحيح مسلم، الزهد، ٦٤.

obeikandl.com

هذه حقيقة جليّة، يليها الجواب عن السؤال من وجوه:

١- للمصائب السماويّة والأرضية أسبابٌ ومقدماتٌ لا بدّ لفهمها وإدراكها من معرفة "تأويل الأحاديث" إلى حدٍّ ما. نعم، ثمّة من خصّها بتفسير الرؤى، ونرى أن لها معنى آخر يتجلّى في فقهنا لحركة الكون وأحداثه، أي إن "تأويل الأحاديث" هو: فقهٌ ذو وجوه لدلالات حركة الكون وأحداثه على وجود الحق تعالى ووحدانيته، والمضيّ في تأمّلها في أفق "هَلْ مِنْ مَزِيد؟" تأملًا يزيد الإيمان بالله اطّرادًا، وتتحقق به "معرفة الله" ثم "محبة الله" ثم "السير إلى الله" مرورًا باللذة الروحية وفقًا المعنى الصوفي.

وفي ضوء هذا تتضح أهمّيّة إدراك الإنذار الإلهي في المصائب الحادثة؛ وهذا الإدراك مِنْ تأويل الأحاديث؛ فالفقه الإيماني للكون وأحداثه يدلُّك أن كل مصيبة في بلدةٍ من حرق وسيلٍ وهَيلَان وانفجار وغيرها إنذارٌ لأهلها، فظاهرها مصيبة وباطنها رحمة لنا، فمهما بدت أنها شرّ في ظاهرها إلّا أنّها خيرٌ في حقيقتها ونتيجتها، ولا يتأتّى لكل امرئٍ إدراكها وفقهها.

قد يقع زلزال بقوة ثلاث درجات بمقياس "ريختر"، فيتذكر كثيرون ربهم؛ فيتوجهون إلى الله مسبِّبِ الأسباب وقد سكنت الأسباب كلها، ثم يتوجّهون بعدئذٍ توجّهًا يتجلى به "سرّ الأحدية" في "نور التوحيد"، وبهذا يصبحون جميعًا في اتصالٍ مع الله، يكلمونه بلا وسيط، وقد يغدو امرؤٌ وليًّا باتصالٍ كهذا وإن كان كلمح البصر، بل قد يُنزِله الجنة.

وقد يحمل الزلزال الشعبَ وكبار رجال الدولة على أمورٍ مهمّة في الحياة كأن يُجْروا تعديلات إدارية متنوّعة لإنهاء فوضى العُمْران إحدى أكبر مشكلاتنا اليوم، ويُعِدُّوا إحصائية دقيقة للعشوائيات.

فعندما يقع زلزال كهذا قد تتصدع مبانٍ وتتكسر نوافذ وتُخرّب أشياء وحتى تحدث وَفَيَاتٌ... مع هذا كله قد يكون الزلزال محض خيرٍ لنا على نحو ما ذكرنا من نتائج آنفًا، أو هو شرٌّ قليلٌ فتحَ الأبوابَ لخير كثير.

وتحلّ كارثةُ السيل بمكان ما، فتكون عقابًا لمن حقّ عليهم العذاب، ومن مات من غيرهم فهو شهيد، وما فُقِدَ من مالٍ فهو صدقة، علاوةً على أن كثيرين يتوجّهون إلى ربهم رهبةً وخشيةً، ويبلغون درجة "القرب" منه سبحانه؛ بل أظن أن درجةً كهذه لا يمكن أن تُنال ولو بصلاة ألف ركعة في اليوم الواحد.

ومن النتائج الحميدة للسيول أن يقوم المهندسون بدراسة التربة لمنع الهَيلان، ويحتاط الخبراء والأكاديميون في هذا، وترعى المنظمات التطوعية والمسؤولون هذا العمل؛ وهذا كلّه خيرٌ محض.

٢- ما ينبغي أن يتسلل إلينا أيُّ تشاؤم من تلك الكوارث، فهي تحذيرٌ إلهي، ونتائجها أو مظاهرها الملكوتية -وإن كانت مصيبةً- خيرٌ، فحقيقتها تجلّيات رحيمة وإنذارات إلهية، فقد يبتليك الله تعالى بشوكة في قدمك؛ فيحملك هذا على الحيطة والحذر من شوكات أكثر وأكبر.

ناهيك أنه ما من صدفة في الكون؛ فمقاليد كل شيءٍ بيده تعالى، وكلّ شيء خَلَقَه بقدر، وإنما يتحقق في أوانه بمشيئته وقدرته ﷻ، وإرادتنا شرط عاديّ لا غير، فليوجّه العبدُ إرادته إلى الخير، وليستعملها فيه دائمًا؛ إذًا فما ينبغي التشاؤم عند تقييم ما حلَّ بنا من مصائب، وينبغي تفريج ستائر الخير التي تتوارى خلفها، ومواصلة صلتنا بالله بتوجيه إرادتنا نحو الخير دائمًا.

٣- هذا تقييم شخصي لا يُدركُه من لم يُعايروا صلتهم الروحية بالله عيارًا دقيقًا، بل قد يعترضون عليه لكونه ليس موضوعيًّا، وقد تودي المصائب السماوية والأرضية بحياة الشيوخ والأطفال والنساء الأبرياء، فلنقل: إن هؤلاء حالوا دون وقوع المصائب الأكبر كأنهم مانعة الصواعق.

ومثل هذا الفقه لا ينكشف إلا لِلَّدُنّيين وأهل الله، فهم أهل هذا المقام: ﴿**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**﴾ (سُورَةُ الصَّافَّاتِ: ١٠٣/٣٧)، وكأنهم يمدون أعناقهم للحق تعالى وكأنها كبش فداء مثلما فعل إسماعيل عليه السلام وقال: ﴿**افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ**﴾ (سُورَةُ الصَّافَّاتِ: ١٠٢/٣٧)، أو كما قال الشاعر "نسيمي":

إنني لك عاشق، وعنك لن أستغني
وإنْ بخنجر طعنتَ قلبي فعنك لن أستغني
وإن شقُّوني كزكريا نصفينِ
وإن وضعوا المنشار على مفرق رأسي فعنك لن أستغني

وإن أحرقوا جسدي، وجففوا في النار رفاتي
وذَرَّوا تراب جثتي فعنك لن أستغني

إنَّ من يُقتلون بيد الإرهاب هم أهلنا، وما يحدث لا يضرّ أحدًا سوانا، فيلحق بنا كل الضرر حيث الأموات من الناشئة والرجال والنساء واليتامى والأرامل والمنازل المهدمة والبلاد الخربة والأراضي المهجورة، فنموت حسرةً على كل هذا ونكتوي ألمًا، وتفيض أعيننا دمعًا كل يوم؛ لكنني أظن أن لهذه الحوادث وظيفة الموانع من الكوارث العظمى. أجل، يُخيّل إليّ أن تلك المنظمةَ الإرهابية التي نُعاني منها الآن تشبه مانعًا يحول دون حربٍ محتملةٍ مع اليونان وسوريا لتأجّج عواملها باستمرارٍ.

والحاصلُ أنَّ المصيبة الصغيرة سدٌّ يحول دون مصيبة أكبر، والهيلانات الصغيرة تحذيرٌ من هيلانات أكبر.

ما وراء جرائم القتل

سؤال: حوادثُ قتلِ المشهورين والمعروفين إعلاميًّا في بلدنا تُلتصق عادةً بالمسلمين، فما تفسيركم لهذه المسألة؟

بادئ الأمر أؤكّد ما جاء في السؤال، فثمّة مشاهير وشخصيات بارزة في الصحافة والإعلام مثل "بحريّة أُوجُوقْ (*Bahriye Üçok*)"، و"طُورَانْ دُرْسُونْ (*Turan Dursun*)"، و"أُوغُورْ مُومْجُو (*Uğur Mumcu*)" راحتْ ضحيةً لجرائم مجهولة الفاعل، أُلصقت بالمسلمين نظرًا لهويات المجني عليهم[١٠٨]، ثم صار المسلمون هم القتلة في

(١٠٨) "بحريّة أُوجُوقْ" (١٩١٩-١٩٩٠م): مؤرخة وسياسية تركية، تبنت بعض المزاعم المناهضة للإسلام في تركيا مثل "عدم فرض الإسلام للحجاب والصيام" وقد أثارت تصريحاتها بهذا الشأن ردود فعل العامة، وصرحت بأنها تعرضت للعديد من التهديدات، وقد لقيت حتفها في السادس من أكتوبر/تشرين الأول (١٩٩٠م) نتيجة لانفجار عبوة ناسفة، وقد تبنت العملية جماعة تدعى "الحركة الإسلامية"، بيد أنه ظهرت بعد ذلك علاقة الحادث ببعض المنظمات الإرهابية المعادية للإسلام.

"طُورَانْ دُرْسُونْ" (١٩٣٤-١٩٩٠م): كاتب ومفكر تركي وإمام ومشرف في دائرة الشؤون الدينية سابقًا، ولد عام (١٩٣٤م) لعائلة جعفرية تابعة لمذهب الإمامية الاثنى عشرية، قام بنقد الإسلام والنبي ﷺ بشكل حاد في الكتب التي ألفها، وفي فترة اشتغاله بوظيفة مشرف في دائرة الشؤون الدينية ألحد واستقال من منصبه، ولقي مصرعه جراء تعرضه لعملية اغتيال أمام منزله في الرابع من سبتمبر/أيلول (١٩٩٠م) وتبنى العملية جماعة تدعى "الحركة الإسلامية".

"أُوغُورْ مُومْجُو" (١٩٤٢-١٩٩٣م): كاتب وصحفي وباحث تركي، كتب العديد من المقالات في مختلف الصحف اليسارية، وقد لقي مصرعه إثر عملية اغتيال بانفجار قنبلة بلاستيكية، علمًا بأنه قام بأبحاث ذات بُعد عميق عن شبكة مشبوهة تضم بعض رجال الشرطة وبعض السياسيين إلى جانب عصابات المافيا قبل أن يتم اغتياله، كما كان له العديد من الكتب والمقالات تدور حول تهريب السلاح ومحاولة اغتيال البابا ومنظمة "حزب العمال الكردستاني (*PKK*)" وبعض المنظمات الاستخباراتية، وقد تبنى عملية اغتياله "الحركة الإسلامية" و"جبهة تيارات الشرق الأكبر الإسلامية" و"حزب الله".

obeikandl.com

تلك الحوادث المقيتة، إذ سارعت وسائل الإعلام دون أن تدقّق في الأحداث وتحلّلها بإصدار الأحكام مستبقةً كشفَ حُجُب الأسرار التي من شأنها أن تبين لماذا وقع ما وقع، علمًا أن أجهزة الدولة المسؤولة تعلم أن المسلمين بُرآء من تلك الجرائم.

قُتل هؤلاء بأيادٍ محترفةٍ تدرَّبَتْ في منظمات استخبارية عالمية -لن أسمّيَها-، ولم يدَوِّن التاريخُ عن المجرم الحقيقي شيئًا، وهذا يشير إلى أنه مدعومٌ من دولٍ ومؤسسات لا قِبَل للدولة ذاتها بمواجهتها، أو أن هذه المؤسسات هي من خططت ونَفّذت.

إذًا لو قيل: لماذا تلصق تلك الجرائم المجهولة الفاعل بالمسلمين دون غيرهم، فالجواب:

١- هناك عامل مهمّ في توجيه ذلك الاتهام، إنه إثارة أجواء إرهابية تُلصَق بالمسلمين لزعزعة الثقة فيهم وإضعاف دورهم، وهذه الثقة وهذا الدور انكشف جليًّا في هذه الفترة؛ فمنهم من يخطط ليحول دون التوجه إلى الإسلام بعد أن تقبَّلَه العامَّةُ والنخبةُ معًا.

٢- باعثٌ آخَر للاتّهام، إنّه دعوة الجيش للانقلاب تحت سِتَار تلك الحوادث، وفي تاريخ تركيا المعاصر ما يدلُّ أنّ مثلَ هذه النوعية من الاضطرابات المفتعلة سبقت انقلابات ١٩٦٠م، و١٩٧١م، و١٩٨٠م، وأنّ من لا يريدون نموّ بلدنا وتطورها هُم من خطّطَ.

٣- يصعبُ بل يستحيل إثبات أن هذه الجرائم المجهولةَ الفاعلِ لم يرتكبها مسلمون؛ لأنّ المعدوم يستحيل إثباته، لذا علينا -نحن

المسلمينَ- أن نؤكِّد أننا دائمًا مع أمتنا ودولتنا، وأن نتحدث عن رؤيتنا هذه في كلّ فرصة وساحة؛ فسيَخْتَبِرُنا الشعبُ والمسؤولون عشر سنوات أو عشرين، ويراقبوننا عن كَثَب، وإذا انتهت هذه الرقابة الطويلة إلى أنه لم يصدر عنا أي فعل أو بيان ضد الوطن والأمة فسيصدِّقوننا ويتقبَّلوننا، وأنا متفائل بهذا؛ واليوم مهما وُصف المسلمون وعُرِّفوا بأنهم مجرمون محتمَلون فإن الشعبَ عامةً والمسؤولين والمثقفين خاصّةً سيتجاوزون -إن شاء الله- تلك العقَبات، فتبطل تلك الحيل التي تقف وراءها بعض المنظمات الاستخباراتية العالمية وبعض الدول العظمى، ويستحيل قطعًا تحقيقُ آمالهم.

٤- والآن إليكم النقطة التي هي أساس الجواب: فلا إرهاب في الإسلام، والإرهابي لا يمكن أن يكون مسلمًا، والمسلم لا يمكن أن يكون إرهابيًّا. أجل، إنّ للمسلم غايةً واحدةً وحيدةً على منوالها ينسج أفكاره وأعماله كلّها في حياته، ويرسم خططها ويدوّنها ليبلغها، فما هي إلا رضا الله فحسب، ولا شيء سواه.

أجل، لو أن المسلم فهم الإسلام حقَّ الفهم فعليه ألا يفكّر إلا في رضا الله تعالى، وألا يتعلق بسواه ولو الجنةَ ونعيمَها من وجهٍ ما، فمِن أنفس ما قيل: "إنَّ مَن يعبدون الله للجنة وثمراتها الأخروية هم "عبيد اللذة" و"عبيد الجنة"، والمؤمن الحق يذهب مذهب يونس أمره:

حدَّثوني عن جنان
هي الحور والقصور والغلمان
هَبْهَا إلهي لمن يَشَاء
فأنتَ أنتَ الغاية العلياء

نقطة مهمة: بينما يسير المسلم نحو هذا الهدف المبارك السامي يجب عليه أن يتحقق من مشروعية الوسائل والسبل المؤدية إليه؛ لأنَّ غايةً عظمى كهذه لا تُنال إلا بالوسائل المشروعة، ويستحيل بلوغها بالصياح والهتاف في الشوارع، أو بقتل البشر أيًّا كانوا، فلا يمكن الجمع بين الإرهاب والقتل والغصب والخطف وغيرها وبين الإسلام، أي يستحيل السير في هذا الطريق بقتل الناس؛ لذلك قررنا ابتداءً: "الإرهابي لا يمكن أن يكون مسلمًا، والمسلم يستحيل أن يكون إرهابيًّا".

أجل، إنّ قتل النفس يَعدِلُ الشرك بالله عند ابن عباس ﷺ[١٠٩]، والقاتل ظلمًا يخلد في جهنم أبدًا عند بعضهم[١١٠]، أي لن تُقبل توبته أبدًا؛ ولا موضع في العقيدة الإسلامية لما تخلفه مصيبتنا الكبرى اليوم الإرهاب: الأبرياء يُقتلون باستمرار، وتهدم المنازل والدور، وتُرمّل النساءُ، ويُيتّمُ الأطفال فلا أحد يعولهم، يقول الإمام النورسي ﷺ في شرحه لأصول العدالة في الإسلام: "لو اجتمع في مكان واحد شخصٌ بريء وعشرةُ جُناة استوجبوا الموت، وكان في القصاص

(١٠٩) صحيح البخاري، تفسير القرآن، ٢٥؛ صحيح مسلم، التفسير، ١٦-٢٠.
(١١٠) صحيح مسلم، التفسير، ١٧-١٩؛ الطبري: جامع البيان، ٩/٥٧-٦٩.

منهـم ضرر قد يلحق بالبريء لَعُدّ القصـاص هنا جريمة"[١١١]. أجل، يتعين في مفهوم العدالة المطلقة أن يكون الأمر هكذا.

ويمتنـع أن نتذرّع بقاعدة "يُرتكب أخف الضررين لدفـع أشدهما" من أجل القضاء على وجود من لا نشـك في عداوتهم للإسـلام، أما تضحية الفرد بنفسـه في ساحة الحرب لمصلحة دينه ووطنه باختياره هو فهذا شيء آخر، فهذا مستثنى من القاعدة؛ لأنّ الأصل أن الإسلامَ يحرّم الانتحار مطلقًا.

والحاصل أنه يستحيل الجمـع بين الإرهاب والإسلام، فالمسلم الذي جعل رضا الله تعالى غايته لا يمكن أن يقتل أيّ إنسان أيًّا كان، ولـو كان يهـدف من ذلـك تمثيل الإسـلام على مسـتوى الدولة، أو أن تكـون دولتـه قدوةً لدول العالم كلهـا، أو أن تتبوأ مكانةً مهمّةً في التـوازن العالمـي، أو إن كان يقصد رضا ربه كالمحافظة على حقوق المسلمين لكن بوسائل غير مشروعة... كل هذا لا يبرّر القتل أبدًا.

والحاصل أقول مجددًا: إن الإرهابي لا يمكن أن يكون مسـلمًا، والمسلم محالٌ أن يكون إرهابيًّا".

(١١١) بديع الزمان سعيد النُّورْسِي: **المكتوبات**، المكتوب الثاني والعشرون، المبحث الأول، ص ٣٢٠.

مصادر

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)؛ **سنن أبي داود**؛ (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة-٣) سنن أبن داود؛ دار السلام، رياض.

أبو الشيخ الأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري (ت: ٣٦٩هـ)؛ **العظمة**؛ تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري؛ دار العاصمة، الرياض، ١-٥، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)؛ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**؛ السعادة - مصر، ١-١٠، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م. [ثم صورتها عدة دور منها: ١- دار الكتاب العربي – بيروت، ٢- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ٣- دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق)].

ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)؛ **مصنف ابن أبي شيبة**؛ تحقيق: كمال يوسف الحوت؛ مكتبة الرشد، الرياض، ١-٧، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين (ت: ٦٣٠هـ)؛ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**؛ تحقيق: علي محمد البجاوي؛ دار الكتب العلمية، بيروت، ١-٨، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

obeikandl.com

ابـن ماجـه، أبو عبد الله محمـد بن يزيد القزوينـي، (ت: ٢٧٣هـ)؛ **سـنن ابن ماجه** (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة-٦)؛ دار السلام، رياض.

ابن كثير، أبو الفداء إسـماعيل بن عمر بن كثير القرشـي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)؛ **البداية والنهاية**؛ دار الفكر، ١-١٥، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٦م.

ـــــــ، **تفسـير القرآن العظيم**؛ تحقيق: محمد حسـين شـمس الديـن؛ دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ١-٩، الطبعة الأولى، ١٤١٩ه/١٩٩٩مـ

ابن عسـاكر، أبو القاسـم علي بن الحسـن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ)؛ **تاريخ دمشق**؛ تحقيـق: عمـرو بـن غرامة العمـروي؛ دار الفكـر، ١-٨٠، الطبعة الأولـى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

ابـن هشـام، عبـد الملك بن هشـام بـن أيـوب الحميـري المعافري، أبـو محمد، جمـال الديـن (ت: ٢١٣هـ)؛ **السـيرة النبوية**؛ تحقيق: مصطفى السـقا وإبراهيم الأبياري وعبـد الحفيظ الشـلبي؛ شـركة مكتبـة ومطبعـة مصطفى البابـي، ١-٢، الطبعـة الثانية، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني؛ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**؛ تحقيق: شـعيب الأرنؤوط - عادل مرشـد، وآخرون؛ مؤسسة الرسـالة، ١-٤٥، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

الإمـام مالـك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحـي المدني (ت: ١٧٩هـ)؛ **الموطأ**؛ تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي؛ مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، أبو ظبي، الإمارات، ١-٨، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤ م.

البـزار، أبـو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي (ت: ٢٩٢هـ)؛ **مسند البزار**؛ تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله (من ١ إلى ٩) وعادل بن سعد (مـن ١٠ إلـى ١٧) وصبري عبد الخالق الشـافعي (١٨)؛ مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١-١٨، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

obeikandl.com

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقـي (ت: ٤٥٨هـ)؛ **دلائل النبـوة**؛ تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلعجي؛ دار الكتب العملية-دار الريان للتراث، ١-٧، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ـــــــ، **شـعب الإيمـان**؛ تحقيـق: عبـد العلي عبـد الحميد حامد؛ مكتبة الرشـد، الرياض، ١-١٤، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

البخاري، محمد بن إسـماعيل أبو عبـدالله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ/٨٧٠م)؛ **صحيح البخاري** (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة-١)؛ دار السلام، رياض.

الديلمي، شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسو، أبو شجاع الديلمي الهمذاني (ت: ٥٠٩هـ)؛ **الفردوس بمأثور الخطاب** (مسند الفردوس)؛ تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول؛ دار الكتب العلمية، بيروت، ١-٥، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقـدي (ت: ٢٠٧هـ)؛ **المغـازي**؛ تحقيق: مارسـدن جونس؛ دار الأعلمـي، بيروت ، ١-٣، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ه/١٩٨٩م .

الحاكـم، أبـو عبـد الله الحاكـم محمد بن عبـد الله بن محمد بن حمدويـه بن نُعيم بـن الحكـم الضبي الطهماني النيسـابوري (ت: ٤٠٥هـ)؛ **المسـتدرك على الصحيحين**؛ تحقيـق: مصطفـى عبد القادر عطـا؛ دار الكتب العلمية، بيـروت، ١-٤، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

الطبرانـي، سـليمان بـن أحمد بـن أيوب بـن مطير اللخمي الشـامي، أبو القاسـم (ت: ٣٦٠هـ)؛ **المعجم الصغير**؛ تحقيق: محمد شـكور محمـود الحاج أمرير؛ المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، ١-٢، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

ـــــــ، **المعجم الأوسـط**؛ تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسـن بن إبراهيم الحسيني؛ دار الحرمين، القاهرة.

ـــــــ، **المعجم الكبير**؛ تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي؛ مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١-٢٥، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)؛ **جامع البيان في تأويل القرآن**؛ تحقيق: أحمد محمد شاكر؛ مؤسسة الرسالة، ١-٢٤، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت: ٤٥٠هـ)؛ **أعلام النبوة**؛ دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)؛ **صحيح مسلم** (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة-٢)؛ دار السلام، رياض.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت: ٣٠٣هـ)؛ **السنن الكبرى**؛ تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي؛ مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١-١٠، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

سهيل صابان: **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض - ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

سعيد النُّورْسِي، بديع الزمان (ت: ١٩٦٠م)؛ من كليات رسائل النور: **الكلمات**؛ دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، الطبعة الثانية، ١٤٣٢ه/٢٠١١م.

ـــــــ، من كليات رسائل النور: **المكتوبات**؛ دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، الطبعة الثانية، ١٤٣٢ه/٢٠١١م.

ـــــــ، من كليات رسائل النور: **اللمعات**؛ دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، الطبعة الثانية، ١٤٣٢ه/٢٠١١م.

ـــــــ، من كليات رسائل النور: **الشعاعات**؛ دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، الطبعة الثانية، ١٤٣٢ه/٢٠١١م.

ـــــــ، مـن كليـات رسـائل النـور: **المثنـوي العربي النـوري**؛ دار النيـل للطباعة والنشر، إسطنبول، الطبعة الثانية، ١٤٣٢ه/٢٠١١م.

ـــــــ، مـن كليات رسـائل النور: **إشـارات الإعجاز في مَظَـانِّ الإيجاز**؛ دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، الطبعة الثانية، ١٤٣٢ه/٢٠١١م.

ـــــــ، من كليات رسائل النور: **سيرة ذاتية**؛ دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، الطبعة الثانية، ١٤٣٢ه/٢٠١١م.

ـــــــ، من كليات رسـائل النور: **الملاحق**؛ دار النيل للطباعة والنشـر، إسطنبول، الطبعة الثانية، ١٤٣٢ه/٢٠١١م.

القضاعـي، أبو عبد الله محمد بن سـلامة بن جعفـر بن علي بن حكمون القضاعي المصـري (ت: ٤٥٤هـ)؛ **مسـند الشـهاب**؛ تحقيـق: حمدي بـن عبد المجيد السـلفي؛ مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١-٢، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦.

الترمـذي، محمـد بـن عيسـى أبو عيسـى الترمذي السـلمي (ت: ٢٧٩هـ)؛ **جامع الترمذي** (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة-٤)؛ دار السلام، رياض.

***Fethullah Gülen**, Çağ ve Nesil-4, **Zamanın Altın Dilimi**, Nil Publishing, 2012- İstanbul.*

obeikandl.com